

2008

تجليات انهيار إيديولوجية القوة في آثينا بين القرنين 5 و 4 ق.م من خلال بعض المصادر الأدبية الإغريقية

عبد السلام التايب

كلية الآداب والعلوم الإنسانية بأكادير، جامعة ابن زهر، المغرب

Follow this and additional works at: <https://digitalcommons.aaru.edu.jo/dirassat>



Part of the [History Commons](#)

Recommended Citation

التايب, عبد السلام (2008) "تجليات انهيار إيديولوجية القوة في آثينا بين القرنين 5 و 4 ق.م من خلال بعض المصادر الأدبية الإغريقية," *Dirassat*. Vol. 13 : No. 13 , Article 4.

Available at: <https://digitalcommons.aaru.edu.jo/dirassat/vol13/iss13/4>

This Article is brought to you for free and open access by Arab Journals Platform. It has been accepted for inclusion in Dirassat by an authorized editor. The journal is hosted on [Digital Commons](#), an Elsevier platform. For more information, please contact rakan@aarj.edu.jo, marah@aarj.edu.jo, u.murad@aarj.edu.jo.

تجليات انهيار إيديولوجية القوة في آثينا بين القرنين 5 و 4 ق.م من خلال بعض المصادر الأدبية الإغريقية

Cover Page Footnote

1- Mossé C, la fin de la démocratie athénienne. Aspect sociaux et politiques du déclin de la cité grecque au 4ème S.av.J C, paris, PUF, 1962, P216-233. 1- إن استعملنا للفضة "إيديولوجية" لا نقصد به مجرد مرادف لذهنية - بل هو انعكاس لحدود المفهوم في مرحلة محددة من تاريخ آثينا أو فكر معينين أو انه الاستعمال مرتبط بمقولات دينية . بل هو انعكاس لحدود المفهوم في مرحلة محددة من تاريخ آثينا (نهاية القرن 5 وبداية القرن 4 ق م) ، وهذه الإيديولوجية قد تخلق تفكيراً وهمياً وتتضمن أحكاماً عن المجتمع تتبع عن مصلحة ما وتهدف الى انجاز خطة معينة.

تجليات انهيار إيديولوجية القوة في آثينا بين القرنين 5 و4 ق.م. من خلال بعض المصادر الأدبية الإغريقية

عبد السلام التايب

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

أكادير

مقدمة :

لم تخرج آثينا وحدها منهزمة من الحرب البيلوبونيسية سنة 404 ق.م، بل بلاد الإغريق برمتها. فقد كانت آثينا مهيمنة بأفكارها وتظرياتها على باقي العالم الإغريقي⁽¹⁾، لذا كان طبيعيا أن تتأثر كل المدن الدويلات الإغريقية بأزمة الإيديولوجية الأثينية⁽²⁾ بانهيار ما يمكننا تسميته بالنموذج الأثيني الذي تحمّل خسارة الهزيمة في الحرب البيلوبونيسية، سيما وأن آثينا كانت هي المدينة "الغازية" التي استندت في سياستها على مبدأ "القوة"، حينما فقدت آثينا إمبراطوريتها، وكان عليها أن تستسلم لفترة من الزمن لإرادة إسبارطا (Sparte) المنتصرة، وأن تتخلى عن نظامها السياسي القائم، لم يتمكن الأثينيون من التخلص من أزمة عميقة. وكانت هذه الأزمة ناتجة من جهة عن انهيار مفاجئ لإيديولوجيتهم التي انبنت عليها الديمقراطية الأثينية التوسعية، ومن جهة أخرى عن عجز دولتهم في خلق إيديولوجية بديلة لها.

1 - إشكالية الموضوع ومصادر مادته

إن دراسة إشكالية "انهيار إيديولوجية القوة الأثينية"، تفرض في البداية تقديم تعريف أولي لمفهوم "الإيديولوجية" والتي تمثل منظومة أفكار وتصورات وسلوكيات متداولة في مجتمع ما، لها حضور تاريخي فاعل في كل مجتمع. وبذلك فإن مفهوم "الإيديولوجية" يحمل في طياته طغيان الوظيفة الفعلية والسلوك الاجتماعي على الجوانب المجردة منها. ويُفترض وجود نخبة مثقفة قادرة على استيعاب هذه الأفكار حتى تكون منظمة في نسق منسجم.

(1) Mossé (C), La fin de la démocratie athénienne. Aspects sociaux et politiques du déclin de la cité grecque au 4^{ème} S. av. J.-C, Paris, PUF, 1962, p. 216-233.

(2) إن استعمالنا للفظ "إيديولوجية"، لا نقصد به مجرد مرادف لذهنية أو فكر معينين أو أنه (الاستعمال) مرتبط بمقولات دينية، بل هو انعكاس لحدود المفهوم في مرحلة محددة من تاريخ آثينا (نهاية القرن 5 وبداية القرن 4 ق.م.)، وهذه الإيديولوجية قد تخلق تفكيرا وهمايا وتتضمن أحكاما عن المجتمع تتبع عن مصلحة ما وتهدف إلى إنجاز خطة معينة.

لقد كان تأثير إيديولوجية الدولة الآثينية خلال القرن 5 ق.م، موجها لسلوك وتصرفات الفرد والجماعة على السواء⁽³⁾، وهو ما انطبق على حالة آثينا في نهاية القرن 5 ق.م. حيث مكّن التفكير النقدي لجماعة السفسطائيين ولسقراط⁽⁴⁾ (Socrate) ثم إعمال المنطق من طرف المؤرخ توسيديد (Thucydide)⁽⁵⁾، من استخلاص إيديولوجية واضحة ومنظمة، هي إيديولوجية القوة.

فهي ليست بإيديولوجية فئة متحكّمة، ولكنها إيديولوجية موجّهة لعلاقات دولة المدينة الآثينية مع الدول الأخرى والمبينة (العلاقات) على أساس التوسع والسيطرة. ويكمن دافع هذه الإيديولوجية الأساسي في الحاجة إلى تبرير مخططات التوسع لغايات منفعية محضة. وكلما كانت صورة هذه الإيديولوجية واضحة، كلما كان تأثيرها فاعلا على تصورات الأفراد، فإما أن تقوي قناعتهم بها أو تثير تحفظاتهم تجاهها.

فقد تباين تأثير مضامين الأفكار الإيديولوجية بآثينا بحسب الظروف التاريخية التي مرت بها، فنجد في القرن 5 ق.م. نوعا من التوافق بين ممارسة السياسة التوسعية الآثينية من جهة، وبين إيديولوجية القوة وقانون الأقوى من جهة أخرى. من هنا يمكننا وصف هذه الفترة بتطابق الفكر والسلوك⁽⁶⁾، واتفاق كل مكونات المجتمع في الولاء لقيم مشتركة ومنطق واحد⁽⁷⁾.

وعلى العكس من ذلك، فإن ظروف آثينا في بداية القرن 4 ق.م، أفرزت تعارضا بين الواقع السياسي وبين الإيديولوجية السائدة. فقد سادت الإيديولوجية الداعية إلى تحقيق المصالحة والوحدة في عصر تميز بانقسامات سياسية وشروخ اجتماعية عميقة، فكانت أساس الخطاب السياسي السائد دون أن تكون فاعلة في السلوك والممارسة اليومية، ومحور الخطابات والكتابات المسرحية وكل المناسبات العمومية التي كان الجميع يستحضر فيها تلك القيم والمبادئ التي قبلتها الدولة الآثينية وأجازتها⁽⁸⁾.

(3) Althusser (L), Positions, Paris, 1976, p. 218.

(4) يدفع سقراط بمحاوريه إلى التعبير عن افتراضات متناقضة. للتوسع أكثر، يراجع كتاب :

Mazel (J). Socrate, Paris, Fayard, 1987, p. 132-160

(5) للتوسع في الموضوع، انظر :

- Romilly (J. de), Histoire et raison chez Thucydide, (Coll. Etudes anciennes), Paris, 1956.

(6) Finley (M.I.) Démocratie Antique et démocratie moderne, Paris, Payot, 1976, p. 50

(7) العروي عبد الله، مفهوم الإيديولوجية، البيضاء 1980، ص. 11.

(8) Cloché (P), "Note sur la politique athénienne au début du 4^{ème} S. av. J-C et pendant la guerre du Péloponnèse", Revue des études anciennes, 1941, p. 16-32.

لدراسة موضوع "انهيار إيديولوجية القوة الآثينية، اعتمدنا بالأساس على جملة من المصادر الأدبية التي تسمح لنا برصد السلوكات الحقيقية للآثينيين من جهة، وكيف تم تقييم هذه السلوكات من طرفهم من جهة ثانية⁽⁹⁾.

وتبقى مع ذلك مصادرنا قليلة نسبيا فيما يخص القرن 5 ق.م. إذ يُعتبر توسيديد (Thucydide) مصدرنا الرئيسي والمتميز لدراسة الإمبراطورية الآثينية آنذاك. فقد ركز في مؤلفه التاريخي (تاريخ الحرب البيلوبونيسية)، وبطريقة منهجية، على مفهوم "القوة"، فأراد بذلك أن يكون ملاحظا جريئا ومترصدا للواقع الآثيني وليس مجرد مدافع عن إيديولوجية الدولة المبنية على مبدأ القوة. من هنا فإذا كان محور انشغاله هو هذه الإيديولوجية، وليس القضايا الاقتصادية والاختلافات الإثنية، فلأن تناوله لها بدا له أساسيا لفهم حقائق عصره.

بالإضافة إلى وجود مصادر أدبية أخرى معاصرة لتوسيديد (Thucydide)، من قبيل مسرحيات أريستوفان (Aristophane) وأوريبيد (Euripide) اللذان كانا معادين لـ"إيديولوجية القوة اللاأخلاقية"، والتي أثبتت التأثير الواضح الذي مارسه تلك الإيديولوجية في فكر الآثينيين وسلوكهم.

وفي نفس الصدد، فحتى إن كان السفسطائيون قد وضعوا في هذه الفترة كل القيم الثابتة موضع الشك، فإن ذلك لم يمنع الأوساط الثقافية والسياسية الآثينية من تمثّل إيديولوجية الدولة القائمة والتي شكلت قاعدة لسياستها. بل إن عموم الشعب الآثيني، الذي كان يستمتع بمشاهدة العروض المسرحية ويتابع بعض محاضرات السفسطائيين، كان على علم بالمفاهيم والأفكار التي كانت متداولة في أوساط النخبة المثقفة. ومن هنا فإن إيديولوجية القوة، التي هي موضوع هذه الدراسة، لم تكن مجرد انشغال فكري متعلق فقط باهتمامات المؤرخ - الفيلسوف، ولكنها كانت أيضا نموذجا مرجعيا بالنسبة لعموم المواطنين الآثينيين.

ويشكل هذا التنوع غير المتجانس لهذه المصادر الأدبية، إحدى الصعوبات التي واجهتنا أثناء التعامل مع المادة التاريخية المستقاة سواء من المؤلفات التاريخية أو من

(9) Thucydide, Histoire de la guerre du Péloponnèse, Etabli et trad. Par Romilly (J. de) et Bodin (L), éd. Belles-Lettres, Paris, 1967, Livre, 5, 84 et 114-116.

تُبرز إحدى روايات توسيديد السلوك الحقيقي للآثينيين اتجاه سكان مدينة ميلي (Milet)، كما تعرفنا بكيفية تقييم هؤلاء لذلك السلوك.

الإنتاجات المسرحية أو من الخطابات السياسية، وأحيانا من المرافعات القضائية، لأن لكل جنس أدبي أسلوبه وقواعده الخاصة وجمهوره الخاص أيضا. كما تتجلى حدة هذه الصعوبة من جهة أخرى في كوننا لا نتوفر على نفس العينة من المصادر الأدبية بالنسبة للقرنين 5 و 4 ق.م. فلم تكن الخطابة، سواء السياسية أو القضائية - والتي مثلت أهم مصادرنا بالنسبة للقرن 4 ق.م، متوفرة خلال القرن 5 ق.م - والعكس صحيح بالنسبة للمسرح الآثيني الذي نفتقر لمادته التاريخية خلال القرن 4 ق.م. كذلك أن إنتاج السفستائيين، الذين ظهوروا خلال مدة قصيرة (العشرينيات من القرن 5 ق.م) لم يستمر خلال القرن 4 ق.م. كما أن المؤرخ كزينوفون (Xénophon)، وإن ظن أنه يكمل إنتاج توسيديد (Thucydide) من خلال مؤلفه "الهيلينيات" (Helléniques)⁽¹⁰⁾، فإن ما قدمه من تأليف تاريخي ينتمي إلى جنس أدبي يختلف تماما عن التاريخ العقلاني لتوسيديد (Thucydide).

وقد حاولنا، قدر الإمكان، تخطي هذه الصعوبات التي اعترضت سبيلنا أثناء دراسة تطور مفهوم إيديولوجية القوة الآثينية بين القرنين 5 و 4 ق.م، وذلك بفحص بعض نصوص هذه الفترة مع إبراز أهمية بعض العبارات والاستنتاجات والمفاهيم الواردة فيها. وبموازاة ذلك، قمنا بعمل تركيبى لبعض تصورات ومواقف مؤلفي ذلك العصر، وهي خطوة ضرورية لتجاوز الوقوف عند وجهة نظر كل مؤلف على حدة بغاية استنباط إشكالية مفهوم "القوة" خلال تلك الفترة. فانطلقنا من تحليل سياسة التوسع الآثيني عند توسيديد (Thucydide) إلى استعراض دعوة أندوسيد (Andocide) لتحقيق وفاق وطني لبعث حلمه الرئيس وهو الوحدة الضائعة. وكان الخطيب إيزوقراط (Isocrate)، في سياق هذه الدعوة الجديدة، أكثر نضجا وعطاء في دعوته لتحقيق مصالحة وطنية مستمدة روحها من إيديولوجية ما بعد الحرب البيلوبونيسية، فتحولت تلك الدعوة إلى محور اهتمامات مؤلفي القرن 4 ق.م.

يمكن إذن، أن نتحدث عن أزمة فريدة من نوعها، تمثلت في انهيار كلي ومفاجئ لـ"إيديولوجية قوة آثينا" إثر هزيمتها في الحرب البيلوبونيسية، ولملء هذا الفراغ الإيديولوجي، تم تركيب إيديولوجية جديدة لم ترق إلى مستوى التنظيم الكلي والانسجام مع الواقع الاجتماعي والسياسي القائم.

(10) Xénophon, Helléniques, Etabli et trad. Par Hatzfeld (J), éd. Belles-Lettres, Paris, de 1936 à 1939.
<https://digitalcommons.aaru.edu.jo/dirassat/vol13/iss13/4>

دمارها⁽¹⁶⁾ قبل إسبارطا (Sparte)⁽¹⁷⁾، فقد أخطأ الآثينيون اتجاه حلفائهم، فعوض أن يضعوا أنفسهم في خدمة هؤلاء، استغلوهم لتحقيق مصالحهم الخاصة.

إن استتكار "إيديولوجية القوة" من طرف كتاب القرن 4 ق.م، ومن خلال منظورهم لطبيعة العلاقات التي ربطت دولة المدينة الآثينية بباقي العالم الإغريقي، أدى إلى إقصائها حتى بين مكونات المدينة نفسها. وهكذا اهتزت الأسس الفكرية لهذه الإيديولوجية بسبب ما اقترفه نظام "الطغاة الثلاثون"⁽¹⁸⁾ من تجاوزات أدت إلى فقدان نظام السلطة المطلقة لمصداقيته، خاصة وأن هؤلاء الطغاة شكلوا نظاما استبداديا مبنيا على القوة دون أن تكون غايتهم منه الدفاع عن مصالح فئة اجتماعية معينة أو سياسة محددة. فقد مثل نظامهم حدا أقصى لإيديولوجية كانت متعارضة مع روح الديموقراطية، ومن ثمة لن تتبناها أغلبية الشعب الآثيني، فحتى لفظة "القوة" (Dunamis) التي كانت لازمة في مؤلف توسيديد (Thucydide) "تاريخ الحرب البيلبونية"، لم تعد متداولة في خطاب دولة المدينة⁽¹⁹⁾، على الأقل حتى فترة تجدد سياسة الغزو الآثينية خلال حرب كورانتا (Corinthe)⁽²⁰⁾، إذ نلاحظ صمتا من جانب جل خطباء بداية القرن 4 ق.م اتجاه موضوع "الإمبريالية" الآثينية خلال القرن 5 ق.م، الذي إما كان منسيا أو مبطنا من طرفهم، سواء تعلق الأمر بعهد القوة أو بالسنوات المظلمة التي عاشت فيها آثينا حالات الندم والذكرى⁽²¹⁾. لكن ما هو مؤكد هو أن هؤلاء الخطباء كانوا على علم بنوعية العلاقات التي

(16) Ibid, 78 : انظر أيضا Xénophon, Les Revenus, Etabli et trad. Par Chambry (P), Paris, 1967, 5-6.

فقد أشار إيزوقراط إلى "أن سياسة الآثينيين القاسية تجاه حلفائهم أدت إلى فقدانهم لإمبراطوريتهم".

(17) Ibid, 100

حيث أكد "أن مصائب الإسبارطيين ناتجة عن كراهية الحلفاء لهم وليس عن هزيمتهم في موقعة لوكتر (Leuctres) أمام قوة طيبة".

(18) قام نظام "الطغاة الثلاثون" عقب انهزام آثينا في معركة "أيكوس بوطاموس" أمام إسبارطا، وقد بارك قيام هذا النظام القائد الإسبارطي ليزاندر (Lysandre)، وذلك في دجنبر من عام 404 ق.م. وقد أصبح "الثلاثون" أسياد الدولة الآثينية، حيث أقاموا سلطتهم على أساس القوة لذلك لم يدم نظامهم أزيد من 8 أشهر، حين أقدم الزعيم الديموقراطي طراسيبيل (Thrasylbulle) على تصفية زعيم الطغاة وهو كريتياس (Critias)، فحل محله نظام ديموقراطي معتدل، وذلك في أواخر سنة 403 ق.م.

(19) لم يستعمل الخطيب أندوسيد هذه اللفظة إلا مرة واحدة في خطابه "Le Retour"، 7، فيما غابت كلية في خطابه Les Mysteres، أما ليزياس فلم يشر إلى قوة آثينا حتى اندلاع حرب كورانتا.

(20) لم ترد لفظة "القوة" إلا تسع مرات في خطاب أندوسيد "La Paix" وثلاث مرات في خطاب ليزياس "Epitaphios"

(21) Loraux (N), L'invention d'Athènes, Paris, éditions de l'école des hautes études en sciences sociales, 1981, p. 83-84.

كانت تجمع أثينا بحلفائها، وما أثار انتباهنا هو غياب أية إشارة في خطاباتهم لمجال امتداد القوة الأثينية " (L'Arché)" (22).

ومن جانب آخر، مثلت شخصية ألسيبيا (Alcibiade) في نهاية القرن 5 ق.م رمز قوة أثينا (23) في الداخل والخارج (24)، فأصبحت قوة شخصيته هدفا مميزا لخصومه. فقد استندت على مقومات ذاتية، منها الاعتماد على مرافقين لهم نفس القناعة السياسية، وعلى ممارسة العنف (25) والاستخفاف بسلطة الرأي العام وبالقوانين. فكان ألسيبيا (Alcibiade) بهذا، يرمز فعلا للفوضى السياسية واختلال القيم الأخلاقية (26). وعلى هذا النحو تكون قوته متعارضة مع إرادة الدولة، إذ لم يعد الأمر يتعلق، كما في عهد بيريكليس (27) (Périclès)، بالقوة من داخل الدولة وبدعم منها، ولكن بفرد أقوى منها، في حين أن المواطن الصالح هو الذي كان يقبل بتفوق قوة القوانين بل يفتخر بها (28). وهكذا لم يعد مهما أن يحسن الفرد أو يسيء استعمال القوة، لأن "قوة المواطن" (Dunamis) داخل إطار دولة المدينة أصبحت صفة مرفوضة في حد ذاتها.

وقد حذر الخطيب ليزياس (Lysias) في خطابه المسمى: (Conte Alcibiade)، من تنامي قوة الأشخاص، وقدم، كنموذج ابن ألسيبيا الذي أخلص لإيديولوجية القوة اللاأخلاقية التي ميزت سلطة والده وتفاخر بتلك القوة، وإن كانت مضرة بدولة المدينة في حاضرها

(22) Will (E), Le monde grec et l'orient, T. I, le 5^{ème} S. av. J-C, Paris, PUF, 1972, p. 173

حيث تعني لفظة "الشجاعة" (Arché) وفي نفس الوقت زيادة القوة الممارسة وأيضا الامتداد الجغرافي الذي تمارس فيه تلك القوة.

(23) Isocrate, Sur l'Atelage, 40, établi et traduit par Mathieu (G) et Brémond (E), Paris, Belles-Lettres, 1956.

إذ ركز اللاسيديمونيون على تصفية السيبيا أكثر من انشغالهم بتدمير قوة أثينا.

(24) Xénophon, Mémoires, Livre I, 2, 24, établi et traduit par Chambry (P), Paris, édition Garnier, 1967 :

إذ أشار إلى قوة السيبيا داخل المدينة ولدى الحلفاء.

(25) Andocide, Contre Alcibiade, 14, 17, 20, établi et traduit par Dalmeyda (G), Paris, Belles-Lettres, 1930.

(26) Romilly (J. de), Problèmes de la démocratie grecque, Paris, Hermann, 1975, p. 83.

وللتوسع أكثر في موضوع خيانة السيبيا لدولته أثينا وتعامله مع خصومها الأجانب، يراجع كتاب :

- Delebecque (E), Thucydide et Alcibiade (centre d'études et de recherches helléniques, 5) Aix-en-provence, 1965)

(27) ينتمي بيريكليس إلى أسرة أثينية أريستوقراطية وكان مساعدا للأرخون إيفيالت (Ephialte) هيمن على الحياة السياسية في ذروة قوة دولة المدينة الأثينية خصوصا من سنة 446 ق.م. حتى وفاته في سنة 429 ق.م. وفي أواخر عهده أمر بإعلان الحرب البيلوبونيسية ضد المعسكر اللاسيديموني في سنة 429 ق.م.

(28) Andocide, Contre Alcibiade, 29, 42.

ومستقبلها⁽²⁹⁾، إذ لم تكشف تصرفات ألسيبيا (Alcibiade) عن معالم قوته ولكن "عن خيانتها فقط" (Ponèria)⁽³⁰⁾.

فظاهريا، لا يلوم ليزياس (Lysias) إيديولوجية القوة، ولكنه ينتقد تطبيقها على شاكلة نموذج ألسيبيا (Alcibiade)، وذلك بتبنيه لوجهة نظر الخصم (إسبارطا والحلفاء) لضرب نظامه من الداخل. وقد أشار في هذا الصدد إلى ازدواجية "القوة" التي تُمكن من التصرف بصورة خيرة أو سيئة في آن واحد. ونفس الانطباع نستخلصه من كتابات أندوسيد (Andocide) الذي اعتبر القوة شرا في حد ذاتها.

غير أن قوة الأشخاص، من وجهة نظر مصالح دولة المدينة، مثلت تجاوزا لإطار القوة نفسها، لذا بين الخطيب ليزياس (Lysias) في مستوى ثاني من الخطاب، بأن القوة المقبولة هي التي تراعي مصالح دولة المدينة. وهذا المفهوم الإيجابي للقوة يُمكن المواطن من تقدير فوائد هذه القوة : إذ لم يعد أساسي أن يكون الفرد قويا كي يتصرف أو أن يعمل كي يصبح قويا، ولكن الأهم هو أن يحسن التصرف دون أن تصبح هذه القوة هدفه الوحيد في حد ذاتها، لكنها قد تتحول إلى مجرد وسيلة لخدمة قيم أخرى، إما ذات صبغة نفعية أو أخلاقية.

وقد سبق للكوميدي أريستوفان (Aristophane) أن تناول موضوع القوة من زاوية مصلحة دولة المدينة، فانصب انشغاله على الاهتمام بسعادة الآثينيين أكثر منه على عظمة الإمبراطورية، فلم يهتم إلا بما قد تدره قوة آثينا من فوائد على الشعب الآثيني⁽³¹⁾، إذ أوضح بأن هذه الإمبراطورية القادرة على إعالة عشرين ألف مواطن آثيني⁽³²⁾ لم تستثمر عائدتها سوى لزيادة غنى القادة السياسيين⁽³³⁾، ومن ثمة فهو لم يدع إلى توزيع عادل لتلك الفوائد⁽³⁴⁾، لأن شساعة هذه الإمبراطورية كانت كافية لتحقيق سعادة الشعب الآثيني

(29) Lysias, Contre Alcibiade, 35, établi et traduit par Gernet (L) et Bizos (M), Paris, Belles-Lettres, 1962.

(30) Ibid, 37 :

لما ذكر ليزياس بفشل ألسيبيا بعد عودته إلى آثينا، خلص إلى أنه كان عاجزا عن إلحاق الضرر بالقوات الإسبارطية، وخائفا لما حصل على إعانات مالية من ملك الفرس حين كان قائدا للجيش الآثيني.

(31) Aristophane, Les Guêpes, 520, établi et traduit par Coulon (V) et Hilaire Van Dael, Paris, Belles-Lettres, 1934.

وهو السؤال الكبير الذي طرحه (Bdélycléon) في هذه المسرحية على والده.

(32) Ibid, 707 : "فما تؤديه المدن من إتاوات لآثينا يمكنه أن يضمن لعشرين ألف مواطن حياة رغدة"

(33) Taillardat (J), Les images d'Aristophane, études de langue et de style, Paris, 1965, p. 270.

(34) Aristophane, Guêpes, 672-698 :

إذا انتقد أريستوفان ضعف فوائد الإمبراطورية بالنسبة للمواطنين، حيث خصصت معظم هذه العوائد لكرواتب للقادة والقضاة.

وابتداء من مسرحيته المسماة بـ: "Les Babyloniens"، حمل أريستوفان (Aristophane) على عاتقه مسؤولية الدفاع عن الحلفاء الذين غرر بهم بعض الديماغوجيين الآثينيين⁽⁴³⁾، لأنهم كانوا فعلاً مجرد أتباع (Hypékous)⁽⁴⁴⁾، فأظهر ميله الشديد نحو مثله الأعلى ألا وهو "الوحدة الإغريقية"⁽⁴⁵⁾، وزاد استنكاره لـ "إيديولوجية القوة" التي لم تحقق سعادة أي أحد بل "أدت إلى تعاسة الجميع"⁽⁴⁶⁾.

لكن هذا النقد الذي أبداه أريستوفان (Aristophane)، والذي استند على معيار تحقيق سعادة الشعب الآثيني واطمئنان الحلفاء وجميع الإغريق، ما كان ليؤثر على إيديولوجية قوة الدولة المنتصرة التي كانت تبحث آنذاك عن مبررات لها من خلال ذاتها. فربما كان الآثينيون سيهتئون أنفسهم على النتيجة السعيدة لسياسة القوة لو حققت الإمبراطورية إثراءهم⁽⁴⁷⁾، لكن لم تكن هذه هي الغاية من تلك السياسة، إذ كان الآثينيون، ومنذ البداية، يوظفون فائض خريفة دولتهم في إنشاء أسطول قوي بدل توزيعه على المواطنين. وخير مثال على ذلك هو أن تيممستوكل (Thémistocle)، الذي حكم آثينا خلال السبعينيات من القرن 5 ق.م، عمل على إيصال آثينا لذروة قوتها ومجدها على حساب إغناء المواطنين الآثينيين⁽⁴⁸⁾، إذ أوضح توسيديد (Thucydide) بأن الدولة لكي تصبح قوية لابد من توفرها على إمكانيات هائلة للتصرف في مستوى تلك القوة التي تمكنها من إخضاع الآخرين⁽⁴⁹⁾، ومن ثمة فإن هذه القوة لا تستند على الوسائل العسكرية فحسب، ولكن أيضاً على مرتكزات مالية واقتصادية⁽⁵⁰⁾. وفي ذلك أوضح توسيديد في الكتاب الأول من مؤلفه "تاريخ الحرب البيلوبونيسية"، أهمية الدعامات الاقتصادية لمبدأ "القوة"⁽⁵¹⁾، وبين أن تطور تلك القوة في حاجة إلى تراكم الثروات والأمن وامتلاك أسطول حربي قوي⁽⁵²⁾. ولتأكيد ذلك قدم مثال تيممستوكل (Thémistocle) الذي أنشأ الميناء الآثيني الحربي "بيري" (Pirée) وحوّل الآثينيين إلى مجندين في البحرية، فهيأهم بذلك إلى بلوغ "ذروة القوة"⁽⁵³⁾.

(43) Id, Acharniens, 642-45

(44) Finley (M.I.), Démocratie antique et démocratie moderne, Paris, Payot, 1976, p. 107.

(45) Orsini (P), "Aristophane et le panhellénisme", Revue des études anciennes, 1938, p. 65-68.

(46) باستثناء تجار الأسلحة الذين ذكرهم باستخفاف في آخر مسرحيته : 1264-1210. "La Paix"

(47) Thucydide, Livre 1, 75, 3 et 1, 76, 2

(48) Rougé (J), Les galériens d'Athènes : Marine et démocratie, Paris, Seuil, 1986, p. 147.

(49) Thucydide, Liv. 1, 18, 2 : حيث تعود الهيمنة إلى الدولة الأقوى :

(50) Ibid, 6, 20, 4.

(51) Ibid, Livre 1, 2, 4 et 1, 9, 2.

(52) Ibid, Livre I, II et III.

"إذ ليس هناك غنى دائم بدون حماية، كما لا وجود لقوة عسكرية كبرى بدون مصادر تمويل هائلة"

(53) Ibid, Livre, 1, 93, 3.

بيد أن تغيراً في هذا المنظور أخذ يلوح في الأفق مع انتعاش الرغبة في نهج سياسة توسعية من جديد أثناء حرب كورانتا⁽⁵⁴⁾ في بداية القرن 4 ق.م، إذ بدأنا نلمس شعوراً مزدوجاً لدى الأثينيين : فأمام "رغبتهم في استعادة مجد إمبراطوريتهم القديمة"⁽⁵⁵⁾، ذكّرهم سكان طيبة (Thèbes) بما آلت إليه إمبراطوريتهم في السابق، مما قد تثيره من جديد هذه الرغبة من كراهية الحلفاء وإضعاف قوة دولة المدينة المهيمنة⁽⁵⁶⁾.

وقد أبرز أندوسيد (Andocide) في نفس السياق، في خطابه المعلنون بـ : "حول السلم"، أنه لم يكن خصوم السلام فحسب هم المنشغلون بممتلكاتهم خارج الوطن⁽⁵⁷⁾، ولكنه هو أيضاً كان منشغلاً بنفس الاهتمام، فحتى وإن تخلى، ولفترة محدودة عن حمسه لإيديولوجية القوة، فإنه فضل الآن التركيز فقط على المنافع المادية (Agatha) التي جنتها وستجنيها آثينا في المستقبل من إمبراطوريتها، كما أدخل أيضاً هذه القوة نفسها في حساب الفوائد التي ستترتب على السلام⁽⁵⁸⁾.

فيما أكد أفلاطون، في مؤلفه المسمى بـ : "Le 1^{er} Alcibiade"، على تغير وجهة النظر هاته والتي لم تعط لمبدأ "القوة" إلا دوراً محدوداً للغاية، حيث أورد في نفس المؤلف محاولة سقراط إقناع محاوره ألسيباد (Alcibiade)، بأن الثروة لا تحقق السعادة، وخُصّ بأن "المدن ليست في حاجة إلى الأسوار والموانئ الحربية يا ألسيباد (Alcibiade) وأن سعادتها لا تكمن في شعب أو مجد بدون فضيلة"⁽⁵⁹⁾.

3 - استنكار سياسة الغزو :

وعموماً نلاحظ أن "إيديولوجية القوة" قد ارتبطت بعنصرين اثنين متداخلين أجملهما سقراط في : أن هدف المدينة يكمن في "تحقيق سعادتها المقرونة بالقيم الأخلاقية الفاضلة"⁽⁶⁰⁾، إذ لا تُقدّر قيمة القوة إلا كمصدر للاغتناء الذي بدوره لا يكتسي قيمته إلا

(54) تعتبر كورانتا من المدن الإغريقية القوية الحليفة لإسبارطا مدة طويلة حتى الفترة التي أصبحت فيها سياسة التوسع الإسبارطية عقب انتصار إسبارطا في الحرب البيلوبونيسية، تضائق التطلعات الاستعمارية الكورانتية في بلاد الإغريق، مما أدى إلى اندلاع حرب كورانتا بين سنتي 395 و 387 ق.م، والتي تحالفت خلالها كورانتا مع أثينا ضد إسبارطا.

(55) Xénophon, Helléniques, Livre III, 5, 10.

(56) Romilly (J. de), Thucydide et l'impérialisme athénien, la pensée de l'historien et de la genèse de l'œuvre? Paris, les Belles-Lettres, 1947, p. 38.

(57) Andocide, La Paix, 36; انظر أيضاً Gauthier (P.h.), Problèmes de la terre en Grèce ancienne, Paris, 1973, p.17.

(58) Andocide, La Paix, 5 et 7 :

حيث جمع الخطيب بين لفظتي : (Dunamis), (Agatha)

(59) Platon, Le 1^{er} Alcibiade, 134b, établi et traduit par Croiset (M), Paris, Belles-Lettres, 7^{ème} édition, 1959.

(60) Id, Gorgias, 466b-468e, établi et traduit par, Croiser (M) et Bodin (L), Paris, Belles-Lettres, 2^{ème} édition, 1935.

كمنع للسعادة. وهكذا عمق سقراط كعاداته فكرة "القوة" التي تكون في البداية بسيطة ليثبت في النهاية نفور الآثينيين منها وإقصاؤهم لها لفائدة مصلحة وسعادة آثينا والآثينيين، ورفضها كذلك من جانب التيار الفكري الجديد الذي أعقب سقراط والذي مثله الخطباء وسعى إلى تخليق الحياة الوطنية، على الأقل داخل العالم الإغريقي.

لقد وردت "إيديولوجية القوة"، كآلية للتوسع، في أدبيات القرنين 5 و4 ق.م مقرونة بعبارة "الغزو" (Pléonexia)، أي الرغبة في تملك أقصى ما يمكن من المجالات بالقوة وبشكل يزيد عما هو مشروع⁽⁶²⁾.

وبالرجوع إلى تحليلات توسيديد (Thucydide) نستتبط تباينا بين مفهومي "القوة" و"العنف" من خلال مواقف آثينا تجاه الحلفاء، وفي هذا الإطار قدم نموذج الكورانتين الذين أخذوا على سكان مدينة كورسير (Corcyre) "سعيهم للتمكن من فرص لممارسة العنف (Biazountai) من خلال تحللهم من التزاماتهم بالمعاهدات بمجرد شعورهم بأنهم الأقوياء"⁽⁶³⁾، فوصفهم بأنهم "عنيفين (Biaioi) وبجموحهم نحو التوسع (Pléonexia)"⁽⁶⁴⁾.

كما قدم كذلك نموذج الآثينيين الذين استعملوا عبارة "الرغبة في الاحتلال" (Pléonexia) حينما تناولوا في خطاباتهم موضوع "العنف" الذي مارسوه في السابق ضد حلفائهم⁽⁶⁵⁾. ومع ذلك فالأمر هنا لا يعني تبني الدول لسياسة العنف في عالم تغيب فيه القوانين، لأن تصرفا من هذا النوع كان يتطلب من الآثينيين وضع القوانين جانبا، فيما كانوا يعترفون بوجود نظام قانوني⁽⁶⁶⁾ حتى وإن لم يحترموه، لكن ما قاموا به هو استبعادهم لمبدأ المساواة الذي كان من شأنه أن يضبط علاقاتهم مع حلفائهم.

وعموما فإن جل مؤلفي هذه الفترة أقرنوا فكرتي "الغزو" و"الظلم"، ليس في غياب القوانين ولكن في ظل انتهاكها⁽⁶⁷⁾، وقد أكد كاليكليس (Calliclès) على صلة مفهوم "القوة" بـ"عدم المساواة" والتي إذا كان قد اعتبرها في السابق متطابقة مع الطبيعة، أقر فيما بعد

(61) تعني هذه اللفظة الرغبة في الغزو والعمل من أجل مزيد من التملك، ففي خطابه: "Panégryque" وضع إيزوقراط عبارات "Pléonextein" و "Pléon éxein" بشكل متوازي مع عبارة (Diáferein) التي تعني الانتشار والاكتمال.

(62) Hérodote, Histoire, Livre II, 147, 3 Etabli et trad. Par Legrand (E), Paris, Belles-Lettres, 1936.

(63) Thucydide, Livre I, 37, 4 :

إذ استعمل المؤرخ اللفظتين معا: (Pléon); (Biazountai)

(64) Ibid, 40, I.

(65) Ibid, Livre I, 77, 3 et 5, 86, 6.

(66) Loraux (N), op. cit, p. 177.

(67) Thucydide, Livre III, 82, 6.

4 - البحث عن نظام للسلم :

ذهب الخطيب أندوسيد (Andocide) بعيدا في بحثه عن نظام سلمي يطبع العلاقات بين الإغريق، فكان أول من ذكّر فكرة "السلم العام"، موجهها كلامه للآثينيين قائلا : "إنكم اليوم تهيئون السلم والحرية لكل الإغريق" (nun pasis tois Ellysi coinin Eirinin)⁽⁷⁹⁾، فأصبحت الحرب العادلة بالنسبة إليه هي التي تُمكن من حماية النفس أو من مساعدة ضحايا العدوان والظلم، وبالتالي فإنها حرب دفاعية فقط. كما أن ليزياس (Lysias) لم يقبل من جهته إلا بالحرب الرامية إلى حماية بلاد الإغريق من الأجانب⁽⁸⁰⁾ ومعاقبة الغزاة والمجرمين⁽⁸¹⁾.

ولم تكن هذه الفكرة جديدة في بداية القرن 4 ق.م، إذ سبق للمسرحي أوريبيد (Euripide) أن دعا آثينا في مسرحيته "Les Héraclides"، إلى عدم القيام بأي حرب إلا من أجل الدفاع عن نفسها وعن رعاياها⁽⁸²⁾، وفي نفس السياق يرى أندوسيد (Andocide) في السلم الحالة الطبيعية التي يجب أن تطبع علاقات الإغريق، أما الحرب العادلة والمقبولة في نظره، فهي التي يُقصد منها رسم مجال دولة من الدول، فيما السلم العادل هو الذي يتم إبرامه على قدم المساواة بين كل الأطراف المعنية.

وبذلك تجاوزت فكرة، "السلم" عند أندوسيد (Andocide) معنى "الهدنة المؤقتة" (Spondai)⁽⁸³⁾ بل وتشمل كل المدن الدويلات الإغريقية التي تكون مدعوة للمشاركة في الاتفاقات مع حفاظها على سيادتها واستقلالها⁽⁸⁴⁾. ومثل هذا السلم لا يقف عند حد وقف الأحقاد بين المدن لفترة محدودة، بل يتوخى خلق نظام قانوني يستند على العدالة وينظم علاقات دويلات المدن الإغريقية⁽⁸⁵⁾. وقد مثّل هذا النظام الذي يُخضع السياسة الخارجية للأخلاق هدف إيزوقراط (Isocrate) الرئيس، والذي أضاف إلى المفهوم التقليدي

(79) Andocide, Paix, 17.

(80) Lysias, Epitaphios, 20-47; انظر أيضا : Ehrenberg (v), L'Etat grec, Paris, FM/Fondations, 1982, p. 188.

(81) Lysias, Epitaphios, 6, 56 : Les Amazones et les Perses.

(82) Euripide, Héraclides, 362-80.

(83) Andocide, Paix, 11 : "Eirinin gar kai Spondai...".

(84) Ibid, 14, 17 :

(Ep Eleuteria pasis tis Ellados) رغم أن اسبارطا خرجت من الحرب منتصرة، فقد عقدت معاهدة السلم مع كل الإغريق (Ep Eleuteria pasis tis Ellados) وللتنوع أكثر يراجع مقال ل :

- Payrau (S). "Eirini, considérations sur l'échec de quelques tentatives panhelléniques au 4^{ème} S. av. J-C", Revue des études anciennes 73, 1971, p. 24-79.

(85) Mosley (D.J), "Diplomacy and disunion in ancient greece", Phoenix 25, 1971, p. 319-330 :

يمكن أن نتنبأ بوجود عقوبات قد تلحق بكل من لا يحترم بنود معاهدات السلام.

(Gorgias)، كما عند تلميذه إيزوقراط (Isocrate)، أن الوحدة الإغريقية لا يمكنها أن تتحقق إلا بحرب ضد الفرس. فقد تناول في خطابه المعنون بـ: "دفاعاً عن بلاميد" (Défense de Palamède)، حرب طروادة باعتبارها اصطداماً بين الإغريق والأجانب، وأكد على مبدأ "التضامن" الذي يوحد الإغريق⁽⁹³⁾ وخاصة على مفهوم "الشعور الوطني الهيليني" الذي ينطوي ضمناً على إحساس وطني مرتبط بدولة المدينة. كما دعا في "خطابه الأولمبي" إلى مصالحة الإغريق فيما بينهم وتوجيه قوتهم ضد الأجانب⁽⁹⁴⁾، وحتى وإن لم يذكر في خطابه هذا فكرة "الوفاق الوطني"، فإنه حث الآثينيين على رفع شعارات الانتصار على الأجانب وليس على الإغريق، كما كان عليه الأمر في معركة ماراطون (Marathon) ضد الفرس، التي مثلت رمزاً للشعور بالوحدة الوطنية الإغريقية، ومكنت الخطباء من تقديم إنتاجات أدبية راقية⁽⁹⁵⁾، وشكلت معينا لا ينضب من دروس الفضيلة بالنسبة لأجيال الشباب الآثينيين⁽⁹⁶⁾.

وكان لمفهوم "الوحدة الإغريقية" عند كورجياس (Gorgias) تأثير كبير على من سيخلفه من المفكرين في رفع نفس الشعار، ومن هؤلاء نذكر الخطيب إيزوقراط (Isocrate) الذي بين في خطابه الموسوم بـ: "Panégryrique" ما بذله السفسطائيون من جهد في تناول موضوع "المصالحة بين الإغريق والحرب ضد الأجانب"⁽⁹⁷⁾. فيما لم يحتل "مفهوم الوحدة" عند ليزياس (Lysias) إلا مساحة أقل ضمن اهتماماته، فجاءت أفكاره أقل أصالة ومتطابقة مع رأي عموم الشعب الإغريقي. فقد عبر عن حزنه عن الوضعية المزرية التي سادت بلاد الإغريق التي أخضع القسم الأكبر منها للفرس أو دمر من طرف الطغاة⁽⁹⁸⁾. وبما أن هذه المأساة نابعة ليس عن ضعفها (بلاد الإغريق) ولكن عن انشقاق مدنها⁽⁹⁹⁾، فقد دعا الخطيب اللاسيديمونيين⁽¹⁰⁰⁾ إلى إظهار جدارتهم بالزعامة على بلاد الإغريق عن طريق

(93) خاصة في خاتمة الخطاب DK 11 82B11 à 36 حيث دعا (Palamède) الإغريق إلى عدم اغتيال Ellines و Ellina.

(94) وفي تقديمه لمقتطفات من هذا الخطاب ذكر (Philostrate)، DK 11 82A1,4، قائلاً: "لما رأى بلاد الإغريق ممزقة إلى تيارات، تحمل مسؤولية تحقيق الوفاق الوطني وتحويل أنظار الإغريق ضد الأجانب قصد الإستيلاء على أراضيهم".

(95) Barthes (R), "L'ancienne rhétorique. Aide-mémoire", Communications, 16 (1970), p. 172-229

(96) Duby (g), Le Dimanche de Bouvines, Paris, 1973, p. 181-232.

(97) Isocrate, Panégryrique, 3.

(98) Lysias, Discours olympique, 4.

(99) Ibid, 4 : "Dia stasin".

(100) أصبحت لفظة "إسبارطيين" في العصر الكلاسيكي أقل استعمالاً من لفظة "لاسيديمونيين" من لدن المؤلفين الإغريق القدماء، وعموماً نعتقد أن لفظة "إسبارطيين" كان يقصد بها فقط سكان مدينة إسبارطا، فيما كانت لفظة "لاسيديمونيين" تعني مجموع السكان الأحرار لسهل لاكونيا (Laconie).

تحريرها من سلطة الأجانب والمستبدين على النحو الذي نهجه الأسلاف إبان الحروب الميدية⁽¹⁰¹⁾، هؤلاء الذين كانوا أوفياء لواجباتهم من أجل سلامة الإغريق ومستقبل أفضل لها⁽¹⁰²⁾.

وقد أعطت فكرة الخطيب ليزياس (Lysias) هاته، الانطلاقة لمشروع الوحدة الهيلينية الذي سيتناوله إيزوقراط (Isocrate) بعناية أكبر محفزا من خلاله كل الإغريق على البحث عن قيادة موحدة لمحاربة الفرس، وإن كانت هذه القيادة عند ليزياس موجودة وما كان ينقصها هو أن تُمارَس بحزم وفعالية، وهذه الصيغة الهيلينية هي التي تبرر في خطابه "الرثاء" سياسة آثينا في الماضي: "ففيما حارب الآثينيون من أجل حرية وسلامة الإغريق عددا لا يحصى من القوى الأجنبية، فَضَّلَ بقية الإغريق، بأنانيتهم، الدفاع فقط عن أراضيهم"⁽¹⁰³⁾. لكن ستتغير هذه الرؤية عنده حين أكد أنه من المفروض على آثينا أن تضحي من أجل سلامة بلاد الإغريق⁽¹⁰⁴⁾، لأن ذلك سيجلب لها المجد والفخر⁽¹⁰⁵⁾.

وقد مثل هذا التأويل الذكي مدحا لآثينا، لأنه أبعد "مفهوم القوة" عنها، إذ لم تذكر اللفظة "Dunamis" في خطابه "الرثاء" إلا مرتين اثنتين⁽¹⁰⁶⁾، وعَوَّضَهَا بلفظة أقل عنفا هي "فضيلة الشجاعة (Arête)"⁽¹⁰⁷⁾ التي شكلت محور خطابه⁽¹⁰⁸⁾.

وبما أن موقف كل الآثينيين كان مبنيا على غيرتهم على بلاد الإغريق وأيضا على "فضيلة الشجاعة"، فمن الطبيعي أن تظهر إمبراطوريتهم ككيان فاضل في العالم الإغريقي، وبموقفهم هذا، وبعيدا عن كل أشكال الغزو، وجد الآثينيون أنفسهم بعد الحروب الميدية على رأس الإغريق⁽¹⁰⁹⁾، فوفرت إمبراطوريتهم حماية للحلفاء من

(101) Roux (G), "Eschyle, Hérodote, Diodore et Plutarque racontent la bataille de Salamine", Bulletin de correspondance hellénique, 1974, p. 51 - 94.

(102) Will (E), Histoire politique du monde hellénistique (323 - 30 av. J. - C), T. 1, université de Nancy, 1979, p. 28.

(103) Duby (G), op. cit, p. 204.

(104) ففي مدح هيرودوت لموقف الآثينيين، ننتبين أن الأمر لا يتعلق بتضحيتهم من أجل بلاد الإغريق فقط، ولكن أيضا من أجل حرية آثينا، إذ تتقاطع مصالح الطرفين معا، هيرودوت، التواريخ، الكتاب السابع، فقرة، 139.

(105) Gauthier (Ph), "Le parallèle Himère-Salamine aux 5^{ème} et 4^{ème} S. av. J-C", Revue des études anciennes, 68 (1966), p. 5-31.

(106) Lysias, Epitaphios, 56-58.

(107) إذا كانت هذه اللفظة تكتسي في مصادر القرنين 5 و4 ق.م معنى أكثر شمولية، ألا وهو حب كل الإغريق. فقد كانت تقرن في الكتابات الإغريقية بلفظة "الحكمة" (Sophrosunè)

(108) فقد وردت هذه اللفظة في خطاب: "Epitaphios" لليزيبليس حوالي 33 مرة.

(109) Préaux (CL), "L'élargissement de l'espace et du temps dans la pensée grecque", Paris, Bulltin de l'Académie royale de Belgique, 1968, p. 208-264.

Mossé (C), Histoire des doctrines politiques en Grèce, Paris, édition, PUF, collection, Que Sais-je, 1969, p. 16.

مضاعفات الحروب الأهلية ومن سلبيات النظام الأوليفارشي، كما أمدتهم بالقوة اللازمة حتى تحرروا من غزو الفرس⁽¹¹⁰⁾، مما جعل آثينا بعد هزيمتها في نهاية القرن 5 ق.م، تترك بلاد الإغريق بدون حماية من استبداد الفرس والطفة⁽¹¹¹⁾.

وقد دفع تجدد الرغبة في إحياء الحس "الإمبريالي" لبليزياس (Lysias) إلى الثناء على إمبراطورية آثينا، فتجاوز بذلك التبريرات المقدمة بعد هزيمتها في معركة أيكوس بوطاموس (Aigos-Potamos) في سنة 404 ق.م، وبالتالي هيأ المواطنين إلى اعتبار الإمبراطورية مثال خير وليس مصدر شرور، فهي في نظره "رمز لحقيقة عميقة ودائمة هي عظمة آثينا"⁽¹¹²⁾. لكن هذا الثناء لم يكن ليتناسب مع إيديولوجية القوة التي مارستها آثينا، بحيث لم يشر لبليزياس (Lysias) إطلاقاً إلى أن هدف هذه الإمبراطورية كان إرضاء طموح الآثينيين في فرض قوتهم وخدمة مصالحهم الخاصة، ولكن في خدمة كل بلاد الإغريق وخاصة الحلفاء منهم. فمبدأ "الوحدة الإغريقية" الذي دعا إليه لبليزياس (Lysias)، كان في آن واحد مثالياً وضد كل أشكال التوسع؛ وبهذا عكس موقفه زوال إيديولوجية القوة على مستوى دولة المدينة، مادام زوالها لن يشمل ليس الحاضر والمستقبل فحسب، ولكن الماضي أيضاً.

فقد أصبحت إيديولوجية "القوة" مرفوضة بين الأفراد والجماعات (المدن الدويلات الإغريقية)، وبالتالي انهارت قواعدها الفلسفية : ففيما انحل مبدأ "قانون المنتصر"، بسبب تناقضاته الداخلية، أُعيد الاعتبار من جديد لمبدئي "الحق" و"العدالة". وفي هذا السياق نجد سقراط، في محاوره "كورجياس" لأفلاطون، يقدم تعليلاً منطقياً ومُقنعاً لكاليكليس (Calliclès) على قبول فكرة مفادها : "أن كتلة الضعفاء التي تؤمن بأن المساواة عدل"⁽¹¹³⁾ هي "أقوى من الأقوياء"⁽¹¹⁴⁾، كما أكد تيرامين (Théramène) في إحدى خطابه بأن "تأسيس النظام الأوليفارشي على مقومات القوة يؤدي إلى إضعافه، لأن ذلك يضيق من قاعدة مناصريه"⁽¹¹⁵⁾.

(110) Ehrenberg (v), L'Etat grec, Paris, FM/Fondations, 1982, p. 180. وأنظر أيضاً Daumas (M), "Aristophane et les Perses", Revue des études anciennes, 1985, p. 289-306.

(111) Lysias, Epitaphios, 59-60.

(112) Loraux (N), op. Cit, p. 85.

(113) Platon, Gorgias, 488° :

ويضيف : "لا ترى أن الجماهير تعتبر احترام المساواة عدلاً وأن اقتراف الظلم قبحاً"

(114) Ibid, 488d :

ويضيف كذلك : "لا ترى أن الجماهير بطبيعتها أقوى من الفرد لأنها تفرض عليه القوانين"، وقد تبني إيزوقراط في خطابه : "السلم"، 134. في إطار علاقات الدول، فكرة مفادها أن مجموع الضعفاء هم أقوى من الأقوياء.

(115) Xénophon, Hellénique, Livre II, 9, 42.

خاتمة :

إن ما يمكننا استخلاصه، من قراءة نماذج للمصادر الإغريقية منذ نهاية القرن 5 ق.م، حول إشكالية "مفهوم القوة" كضمان لاستمرار نظام الدولة، هو أن "النظام الجيد" (Eunomie) هو ذلك الذي كان يتمشى مع مصالح الدول والأفراد، في حين أن "الفوضى السياسية" (Anomie) كانت مضرّة بالنسبة للجميع⁽¹¹⁶⁾، ف"النظام الجيد" يُثبّت الثقة ويخفف من حدة التوتر الاجتماعي ويخلق أجواء التعايش بين القيادة السياسية والمشاركة الشعبية⁽¹¹⁷⁾، في حين تتسبب الفوضى في زيادة حدة الصراعات بين الأغنياء والفقراء، فتتدلع الحروب التي قد تؤدي إلى اغتصاب المستبدين للسلطة⁽¹¹⁸⁾. كما نلاحظ أن القوة والمصلحة هما اللتان تبرران سيادة القانون، والذي يبدو في النهاية منسجما مع الطبيعة البشرية، ومكونا أكبر قوة داخل المجتمع وذو فائدة للفرد وللجماعة.

ونستنتج في النهاية أن "إيديولوجية القوة" قد تم إقصاؤها نظريا وعلى مستوى الممارسة السياسية، حتى وإن تجسدت في سياسة أثينا وفي فكر بعض الشخصيات الطموحة، مثل ألسيبيا (Alcibiade) وكريتياس (Critias). وإن عاودت أثينا إحياء أمجادها "الإمبريالية"، فإن "إيديولوجية القوة" لم تعد تمثل تلك القيمة الجوهرية التي تطبع كل المجتمع، فقد فقدت مصداقيتها، مما حفز الآثينيين على الرجوع إلى الماضي لإحياء بعض القيم القديمة، كـ"العدالة" و"القانون"، التي غُيّبت بسبب انشغالهم بالبحث عن مصادر قوتهم.

ويبقى أن الهمّ الأساسي الذي شغل اهتمام مؤلفي نهاية القرن 5 وبداية القرن 4 ق.م هو إحياء أمجاد أثينا الضائعة⁽¹¹⁹⁾ أو على الأقل استحضارها لخلق شعور وطني جديد⁽¹²⁰⁾.

(116) Romilly, (J. de), Problèmes de la démocratie grecque, Paris, Hermann, 1975, p. 82.

(117) Finley (M.I). Démocratie antique et démocratie moderne, Paris, Payot, 1976, p. 135.

(118) DK11 89 7, 10 ; "y oiketa stasis".

(119) Cloché (P), "Note sur la politique athénienne au début du 4^{ème} S. av. J.C et pendant la guerre du Péloponnèse", Revue des études anciennes, 1941, p. 16-32.

(120) Romilly (J. de), "Les différents aspects de la concorde dans l'œuvre de Platon", Revue de philologie 46 (1972), p. 7-20.